الأزمات وتعزيز القيم الاجتماعية

الأزمات وتعزيز القيم الاجتماعية: دراسة تحليلية حول تعزيز القيم الاجتماعية في ظل الأزمات

وعلاقتها برأس المال الاجتماعي

نوفمبر 2024

د. ربيعة سعد قويدر- أستاذ مساعد
كلية الآداب واللغات- قسم الخدمة الاجتماعية
طرابلس ليبيا
مركز الدراسات الاجتماعية

الأزمات وتعزيز القيم الاجتماعية: دراسة تحليلية حول تعزيز القيم الاجتماعية في ظل الأزمات وعلاقتها برأس المال الاجتماعي

المستخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل العلاقة بين الأزمات وتعزيز القيم الاجتماعية، مع التركيز على دور رأس المال الاجتماعي في دعم استقرار المجتمعات أثناء الأزمات. تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي وتحليل المحتوى، مستندةً إلى مجموعة من البحوث العربية والأجنبية، إضافةً إلى تقارير دولية ومحلية حول تأثير الأزمات، لا سيما أزمة مدينة درنة في ليبيا. وتناقش الدراسة تأثير الأزمات الاقتصادية والصحية والاجتماعية، مستشهدةً بأمثلة مثل جائحة كورونا، والأزمة الاقتصادية العالمية، وكارثة درنة في ليبيا. كما تستعرض دور القيم الاجتماعية، مثل التضامن والتكافل والثقة المتبادلة، في التخفيف من الآثار السلبية للأزمات وتعزيز قدرة المجتمعات على التكيف والتعافي. وتشير النتائج إلى أن المجتمعات ذات رأس المال الاجتماعي القوي تكون أكثر قدرة على مواجهة الأزمات والتغلب على تداعياتها، بينما يؤدي ضعف القيم الاجتماعية إلى تفاقم المشكلات الاجتماعية والاقتصادية. وتوصي الدراسة بضرورة تبني سياسات حكومية ومجتمعية لتعزيز القيم الاجتماعية، من خلال دعم العمل الجماعي، وتعزيز دور الإعلام في نشر ثقافة التعاون، والاستثمار في برامج تعليمية ومجتمعية لبناء رأس المال الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية :الأزمات، القيم الاجتماعية، رأس المال الاجتماعي، التكيف المجتمعي، التضامن الاجتماعي.

المقدمة:

تُعتبر الأزمات من الظواهر الاجتماعية التي يمكن أن تكون لها تأثيرات عميقة على بنية المجتمعات وقيمها. سواء كانت أزمات اقتصادية، صحية، أو اجتماعية، فإن هذه الأحداث تتسبب في تغيرات كبيرة في تفاعل الأفراد والجماعات، وتؤثر بشكل ملحوظ على استقرار المجتمع (دوركهايم، 1912). يمكن للأزمات أن تُظهر نقاط الضعف في النظم الاجتماعية والاقتصادية، ما يستدعي استجابة سريعة من أجل التخفيف من آثارها. ومن أبرز استجابات المجتمعات في مواجهة الأزمات هي تعزيز القيم الاجتماعية التي تُعتبر أساسًا لبناء التماسك الاجتماعي وتحقيق الاستقرار النفسي والاجتماعي للأفراد.

تشير العديد من الدراسات إلى أن الأزمات يمكن أن تؤدي إلى تفكك العلاقات الاجتماعية وتدمير الثقة بين الأفراد والجماعات. إلا أنه في المقابل، يمكن أن تكون هذه الأزمات فرصة لتعزيز القيم الاجتماعية مثل التضامن، التعاون، والعدالة الاجتماعية (الجمل،2019، العزاوي، 2020، بوتنام، 2000). ومن خلال تقوية هذه القيم، يمكن للأفراد مواجهة التحديات التي تطرأ نتيجة للأزمات بشكل أكثر فعالية، مما يعزز من تماسك المجتمع وقدرته على التعافي (شتومبكا، 1993). وفي هذا السياق، يعتبر تعزيز القيم الاجتماعية عاملاً حاسمًا في تعزيز قدرة المجتمع على التكيف مع الأزمات. فالتعاون والتكافل الاجتماعي يمكن أن يساعدا في توزيع الموارد بشكل عادل وتوفير الدعم الاجتماعي للأفراد الذين يعانون من آثار الأزمة. كما يمكن أن تساهم القيم مثل الاحترام المتبادل والمساواة في معالجة التوترات الاجتماعية التي تنشأ بسبب الأزمات.

إن فهم العلاقة بين الأزمات والقيم الاجتماعية يُعد أمرًا بالغ الأهمية لتحقيق استجابة اجتماعية ناجحة. لذلك، هذه الورقة تسعى إلى تحليل تأثير الأزمات على القيم الاجتماعية وكيفية تعزيز هذه القيم كوسيلة للتخفيف من الآثار السلبية للأزمات، مع التركيز على الأساليب التي يمكن من خلالها بناء مجتمع أكثر مرونة واستقرارًا في مواجهة التحديات.

أولاً: – مفهوم الأزمات

تعتبر الأزمة حدثًا غير متوقع يحدث في وقت معين ويؤدي إلى تغيير كبير أو تدهور في الوضع الراهن. وتتسم الأزمات عادة بخصائص مواكبة لها مثل المفاجأة، الاضطراب والتوتر، وعادة ما تستدعي تدخلًا سريعًا للتعامل مع تأثيراتها السلبية. ويمكن تعريف الأزمات وفق سياقات متنوعة أو مختلفة كالآتي:

1. **الأزمات في السياق الاجتماعي** :تشير بعض الدراسات إلى أن الأزمات الاجتماعية تُعدّ أحداثًا مفاجئة تؤثر بشكل كبير على استقرار الأفراد والمجتمعات، مما يؤدي إلى حالة من التوتر والاضطراب تستدعي استجابات سريعة للحد من آثارها النفسية والاجتماعية (الجمل، 2019). وفي هذا السياق، يكمن التحدي في كيفية المعالجة السريعة للأزمة التي بالضرورة لها أبعادها الاجتماعية والنفسية، وكيفية إعادة بناء العلاقات الاجتماعية والنظام الاجتماعي بعد وقوع الأزمة.

2. **الأزمات في السياق النفسي:** يشير "بيرنشتاين" (2004) إلى أن الأزمة هي حالة من التوتر النفسي الشديد الذي يواجه فيه الفرد أو المجموعة حالة فزع غير قابلة للتكيف، حيث يصبح الفرد في مواجهة مباشرة مع تهديدات لوجوده الشخصي أو الاجتماعي. ويتطلب هذا الوضع استجابة من الفرد تتضمن القدرة على اتخاذ قرارات فورية لمواجهة التحديات.

3. **الأزمات الاقتصادية والسياسية** :أما في السياق الاقتصادي والسياسي، تتمثل في "الاضطرابات التي تحدث في النظام الاقتصادي أو السياسي، مما يؤدي إلى حالة من الانهيار الاقتصادي أو التوترات الاجتماعية. وقد تكون الأزمات الاقتصادية والسياسية متوقعة بالتجربة وتكون الاستجابة أسرع مما هي عليه في السياقات المشار اليها أعلاه، وهو ما قد يفسر وجود ما يسمي بقسم "إدارة المخاطر" في عديد من المجالات الاقتصادية والسياسية. وبشكل عام، في هذا السياق الأزمات يمكن أن تكون مرتبطة بتدهور الحالة المعيشية أو فقدان الثقة في النظام السياسي" (العزاوي، 2020)، وبالتالي، في هذه الحالة قد تنشأ حالة من الفوضى والضبابية التي قد تهدد استقرار المجتمع.

وفقًا لـ"كامل" (2018)، يمكن تعريف الأزمات أو الأزمة بأنها "*موقف يواجه فيه الأفراد أو المجتمعات تهديدًا غير متوقع يؤثر بشكل مباشر على حياتهم، ويعطل أنماط حياتهم المعتادة. ويشمل ذلك الأزمات الطبيعية، الاقتصادية، السياسية، أو الاجتماعية، وقد يتطلب رد الفعل السريع من الأفراد أو المؤسسات للتعامل مع تداعيات الأزمة*." ومن المؤكد أن الأزمات لا تؤثر بشكل عميق في الأفراد فحسب بل تأثيرها على المجتمعات من النواحي الاجتماعية، الاقتصادية، والنفسية، حيث تؤدي إلى اضطرابات كبيرة قد تستمر لفترات طويلة بعد انتهاء الحدث نفسه.

ثانياً: – مفهوم القيم الاجتماعية

تُعرَّف القيم الاجتماعية بأنها مجموعة من المبادئ والمعايير التي تُوجِّه سلوك الأفراد داخل المجتمع، وتشكل الإطار العام الذي يُحدد ما هو مقبول أو مرفوض من تصرفات. وتشمل هذه القيم مفاهيم مثل العدالة، والتضامن، والاحترام، والتعاون، وهي مستمدة من الثقافة والتقاليد والدين والتجارب التاريخية للمجتمع (شوارز، 1992) وتؤدي القيم الاجتماعية دورًا جوهريًا في بناء التماسك الاجتماعي وتعزيز الاستقرار، إذ تسهم في تنمية الشعور بالهوية الجماعية والانتماء، مما يعزز التفاعل الإيجابي بين الأفراد ويقوي رأس المال الاجتماعي، الذي يتجسد في شبكات العلاقات والثقة والتعاون بين الأفراد والمؤسسات. وتُعبر القيم الاجتماعية عن التوقعات الجماعية لما يُعتبر صحيحًا أو أخلاقيًا أو مفيدًا للمجتمع ككل (كلوكهون، 1951). وتلعب القيم دورًا محوريًا في تحديد طبيعة العلاقات الاجتماعية، حيث تؤثر في مستوى التعاون، والتكافل، والاحترام المتبادل بين الأفراد. وتصنَّف القيم الاجتماعية إلى عدة أنواع وفقًا لطبيعتها ووظيفتها في المجتمع، ومن أبرز هذه التصنيفات:

- **القيم الأخلاقية** :تشمل الصدق، الأمانة، والعدالة، وهي التي تحدد ما هو صائب أو خاطئ في التصرفات الفردية والجماعية.
- **القيم الاقتصادية** :مثل العمل الجاد، والإنتاجية، والاستثمار، التي تؤثر في التنمية الاقتصادية للمجتمعات.

- **القيم السياسية** :كالحرية، والديمقراطية، والعدالة الاجتماعية، التي تحدد شكل الحكم والتفاعل السياسي داخل الدولة.
- **القيم الأسرية والاجتماعية** :مثل الاحترام المتبادل، والتضامن العائلي، والتكافل الاجتماعي، وهي التي تحافظ على ترابط الأفراد داخل المجتمع (روكيتش، 1973).

وتلعب القيم الاجتماعية دورًا رئيسيًا في استقرار المجتمعات وتوجيه الأفراد نحو السلوكيات التي تعزز التماسك الاجتماعي. ومن أبرز فوائدها: تعزيز الهوية الجماعية حيث تسهم في خلق شعور بالانتماء والولاء للمجتمع، مما يزيد من تماسكه واستقراره. وتنظيم العلاقات الاجتماعية التي توفر معايير سلوكية تحدد التفاعلات بين الأفراد، مما يقلل من النزاعات الاجتماعية. وتحفيز التنمية الاجتماعية والاقتصادية إذ تدعم قيم مثل العمل الجماعي، والتعاون، والمسؤولية المجتمعية عمليات التطوير المستدام داخل المجتمعات (بارسونز، 1951). والتأثير في رأس المال الاجتماعي فكلما زادت قوة القيم الاجتماعية الداعمة للتعاون والثقة، زادت قدرة المجتمع على بناء شبكات اجتماعية قوية تدعم التنمية والاستقرار (بوتنام، 2000).

وقد تتغير القيم الاجتماعية بمرور الزمن متأثرةً بالعوامل الاقتصادية والسياسية والثقافية، حيث يمكن أن تتطور بعض القيم أو تتراجع وفقًا للسياق الاجتماعي والتاريخي (إنجلهارت وبيكر، 2000). وتُعد الأزمات، مثل الأزمات الاقتصادية أو الكوارث الطبيعية، من العوامل الرئيسة التي تعيد تشكيل هذه القيم؛ إذ يزداد التركيز على قيم التضامن والتكافل، بينما قد تتراجع بعض القيم الفردية والمنافسة. على سبيل المثال، خلال الأزمات الصحية العالمية، مثل جائحة كوفيد-19، عززت المجتمعات قيم المسؤولية الجماعية والتعاون، مما ساهم في تقوية رأس المال الاجتماعي عبر تعزيز الروابط الاجتماعية وزيادة التفاعل بين الأفراد والمؤسسات (بوتنام، 2000). ومن هذا المنطلق، فإن دراسة القيم الاجتماعية وتحليل تأثير الأزمات عليها يُعد أمرًا بالغ الأهمية لفهم التغيرات التي قد تطرأ على رأس المال الاجتماعي ودورها في استقرار المجتمعات.

ثالثًا: – مفهوم رأس المال الاجتماعي

يُعدّ رأس المال الاجتماعي أحد المفاهيم المهمة في الدراسات الاجتماعية، حيث يشير إلى مجموعة الروابط والعلاقات الاجتماعية التي تسهم في تحقيق الفوائد للأفراد والمجتمعات. وقد طرح بيير بورديو (1986) هذا المفهوم من منظور يركز على الأفراد، حيث رأى أن امتلاك شبكة اجتماعية قوية يمنح الأفراد مزايا اجتماعية واقتصادية، مما يساعدهم في تعزيز مكانتهم في المجتمع. ووفقًا لهذا الطرح، فإن رأس المال الاجتماعي يُعتبر موردًا شخصيًا يعتمد على العلاقات التي يكوّنها الأفراد واستثمارهم فيها. وعلى الجانب الآخر، قدّم روبرت بوتنام (1993، 2000) رؤية مختلفة، حيث اعتبر رأس المال الاجتماعي منفعة عامة تعود بالفائدة على المجتمع ككل، وليس مجرد أداة لتحقيق المصالح الفردية. فهو يرتبط بمدى انتشار الثقة المتبادلة بين الأفراد، ومستوى المشاركة المجتمعية، ومدى قوة التفاعل الاجتماعي داخل المجتمعات.

أما جيمس كولمان (1988)، فقد تبنى نهجًا يربط بين الطرحين، مشيرًا إلى أن رأس المال الاجتماعي ليس مجرد خاصية فردية، بل هو سمة جماعية تنشأ داخل الشبكات الاجتماعية، حيث يساهم في دعم العمل الجماعي، وتحقيق الترابط بين الأفراد، وتعزيز التعاون على نطاق أوسع. وتطور مفهوم رأس المال الاجتماعي ليشمل ثلاثة أبعاد رئيسية تمثلت في أولاً، الثقة المتبادلة بين الأفراد والجماعات، حيث تُعدّ الثقة بين الأفراد ركيزة أساسية لتعزيز التعاون والاستقرار الاجتماعي، خاصة خلال الأزمات التي تتطلب تضافر الجهود. يليه بُعد الشبكات الاجتماعية التي تتيح للأفراد تبادل الدعم والمعلومات والموارد، مما يسهم في بناء مجتمعات أكثر تكافلًا وتفاعلاً. ثم بعد المعايير والقيم المشتركة حيث تُشكل هذه القيم إطارًا مرجعيًا للسلوك الاجتماعي، مما يعزز بيئة داعمة للتعاون والعمل الجماعي، خاصة في أوقات الأزمات التي تتطلب وحدة مجتمعية قوية.

وقد أشار آدم سميث (1776–1994) في نظريته الاقتصادية إلى أن العلاقات الجيدة بين الأفراد، المبنية على الثقة والتعاون، تساهم في تحسين الأداء الاقتصادي وتعزيز الاستقرار الاجتماعي. وتتماشى هذه الفكرة مع رؤى لاحقة مثل بوتنام وكولمان، الذين شددوا على أن رأس المال الاجتماعي لا يرتبط فقط بالمكاسب

الفردية، وإنما يُشكل أساسًا للتنمية الجماعية. لا سيما في الأوقات العصيبة خلال الأزمات حين تبرز أهمية القيم الاجتماعية مثل التضامن والتكافل والمسؤولية المشتركة، فتصبح هذه القيم محفزًا رئيسيًا لتعزيز الروابط الاجتماعية، ما يؤدي إلى استجابة مجتمعية أكثر فاعلية للتحديات. فالمجتمعات التي تمتلك مستوى عالٍ من الثقة المتبادلة والشبكات الاجتماعية القوية تكون أكثر قدرة على تجاوز الأزمات بمرونة، وهو ما يتوافق مع الطرح القائل بأن رأس المال الاجتماعي يشكل موردًا استراتيجيًا لدعم التماسك والاستقرار. ولفهم العلاقة بين الأزمات وتعزيز القيم الاجتماعية، يمكن تسلط الضوء على عدد من الدراسات التي تناولت بالبحث والدراسة تأثير الأزمات على المجتمعات ودور القيم الاجتماعية في تعزيز القدرة على التكيف والتعافي منها.

رابعًا: – كيف تناولت الدراسات السابقة العربية والأجنبية الأزمات وتعزيز القيم الاجتماعية؟

1. الجمل:(2019)

تناولت هذه الدراسة تأثير الأزمات الاقتصادية على المجتمعات العربية، موضحة كيف تؤدي الأزمات إلى تراجع القيم الاجتماعية مثل الثقة والتعاون، لكنها في بعض الحالات تعزز قيم التكافل والتضامن المجتمعي كآليات للتكيف. وأكدت الدراسة على أهمية الدور الحكومي في تعزيز رأس المال الاجتماعي من خلال السياسات الاجتماعية الداعمة للفئات الأكثر تضررًا.

2. العزاوي:(2020)

درست هذه الدراسة دور التضامن الاجتماعي خلال الأزمات الصحية، مع التركيز على جائحة كورونا في المجتمعات العربية. وأوضحت النتائج أن الأزمات الصحية تعزز القيم الاجتماعية مثل المسؤولية الجماعية والعمل التطوعي، لكنها قد تؤدي أيضًا إلى ظهور سلوكيات فردية سلبية نتيجة للخوف والقلق.

3. كامل:(2018)

بحثت الدراسة في العلاقة بين الأزمات الاجتماعية والقيم المجتمعية، موضحة كيف يمكن للأزمات السياسية والاقتصادية أن تؤدي إلى إعادة تشكيل القيم الاجتماعية في المجتمعات العربية. وأشارت إلى أن ضعف رأس المال الاجتماعي يحدّ من قدرة المجتمعات على مواجهة الأزمات بفعالية.

1. **الدراسات الأجنبية**

1. Putnam (2000) - Bowling Alone:

يناقش هذا الكتاب تراجع رأس المال الاجتماعي في المجتمعات الغربية وتأثير ذلك على القيم الاجتماعية، موضحًا كيف يمكن للأزمات أن تؤدي إما إلى تعزيز التفاعل الاجتماعي أو إلى زيادة العزلة المجتمعية. وأشار إلى أن الدول التي تمتلك رأس مال اجتماعي قوي تكون أكثر قدرة على الصمود أمام الأزمات.

2. Fukuyama (1995) - Trust: The Social Virtues and The Creation of Prosperity:

تناول الكتاب أهمية الثقة باعتبارها عنصرًا أساسيًا في رأس المال الاجتماعي، مشيرًا إلى أن المجتمعات التي تتمتع بمستويات عالية من الثقة تكون أكثر قدرة على تجاوز الأزمات الاقتصادية والاجتماعية.

3. Bonanno et al. (2010):

درست هذه الدراسة تأثير الأزمات الطبيعية على الأفراد والمجتمعات، وركزت على كيفية استجابة الأفراد للأزمات من خلال شبكات الدعم الاجتماعي. وأكدت النتائج أن رأس المال الاجتماعي يساعد في تخفيف آثار الصدمات النفسية والاجتماعية للأزمات.

وباختصار، أشارت الدراسات السابقة، سواء العربية أو الأجنبية، إلى أن الأزمات تلعب دورًا حاسمًا في إعادة تشكيل القيم الاجتماعية، حيث يمكنها أن تؤدي إلى تعزيز قيم التكافل والتعاون، أو إلى تراجع القيم الاجتماعية بسبب تفاقم الضغوط والتحديات. كما تؤكد الدراسات على أهمية رأس المال الاجتماعي كعامل رئيسي في

تعزيز قدرة المجتمعات على مواجهة الأزمات بفعالية. وقد اتفقت معظم الدراسات على مجموعة من النتائج التي ساهمت في فهم العلاقة بين الأزمات وتعزيز القيم الاجتماعية، ودور رأس المال الاجتماعي في هذا السياق. وأكدت معظم الدراسات أن الأزمات تؤثر بشكل مباشر على القيم الاجتماعية، فقد تساهم في تعزيز قيم التضامن والتكافل الاجتماعي، كما حدث خلال جائحة كورونا حيث زادت المبادرات المجتمعية والتعاون بين الأفراد (العزاوي، 2020، بونانو وآخرون، 2010).

ومن ناحية أخرى، أشارت بعض الدراسات إلى أن الأزمات قد تؤدي إلى تراجع القيم الاجتماعية، خاصة في المجتمعات التي تعاني من ضعف في رأس المال الاجتماعي، مما قد يؤدي إلى زيادة النزاعات والتفكك الاجتماعي (بوتنام، 2000). وقد أظهرت الدراسات أن رأس المال الاجتماعي يعدّ عاملًا أساسيًا في قدرة المجتمعات على تجاوز الأزمات، حيث تسهم العلاقات الاجتماعية القوية في توفير الدعم النفسي والمادي للأفراد، مما يعزز القدرة على الصمود والتكيف مع الظروف الصعبة (فوكوياما، 1995، كامل، 2018). وأن المجتمعات التي تمتلك مستويات عالية من الثقة والتعاون تكون أكثر قدرة على مواجهة الأزمات الاقتصادية والاجتماعية، مما ينعكس إيجابيًا على استقرارها (كولمان، 1990). وأن السياسات الحكومية يجب أن تدعم رأس المال الاجتماعي، مثل تشجيع العمل التطوعي، وتعزيز الشفافية والثقة بين المواطنين، وبالتالي مع الحكومات، وتحفيز المشاركة المجتمعية (الجمل، 2019، بورديو، 1986). لذلك، فإن بناء رأس المال الاجتماعي يجب أن يكون عملية مستدامة، تبدأ قبل وقوع الأزمات لضمان استجابة أكثر كفاءة عند حدوثها (بوتنام، 2000).

خامسًا: – أهمية تعزيز القيم الاجتماعية في ظل الأزمات وعلاقتها برأس المال الاجتماعي

2. تأثير الأزمات على المجتمعات

تختلف تأثير الأزمات على المجتمعات بناءً على طبيعة الأزمة، ومدى استعداد المجتمع للتعامل معها، والإجراءات المتخذة لإزالة أو التخفيف من آثارها. فمن ناحية اجتماعية قد تؤدي الأزمات إلى تفكك العلاقات الاجتماعية، وزيادة مستويات التوتر والصراع داخل المجتمع. فمثلاً، يشير دوركهايم (1897) إلى أن الأزمات الحادة قد تزيد من معدلات العنف والجريمة، حيث يشعر الأفراد بالإحباط والقلق من المستقبل، مما يؤثر على سلوكهم الاجتماعي. كما قد تؤدي الأزمات إلى تعزيز التكاتف الاجتماعي في بعض الحالات، خاصة إذا كان هناك دعم قوي من قبل المؤسسات الحكومية والمدنية (شتومبكا، 2000). أما من الاقتصادية فغالبًا ما تتسبب الأزمات في خسائر اقتصادية كبيرة تؤثر على الأفراد والدولة ككل. فمثلاً، عند وقوع كوارث طبيعية، تتعرض البنية التحتية للضرر، مما يؤدي إلى تعطيل الأنشطة الاقتصادية وزيادة معدلات الفقر والبطالة. وفقًا لتقرير البنك الدولي (2021)، فإن البلدان التي تواجه أزمات متكررة تحتاج إلى سنوات للتعافي اقتصاديًا، حيث تتراجع الاستثمارات ويتأثر النمو الاقتصادي بشكل سلبي. وبطبيعة الحال أن يكون لهذه الأزمات تداعيات وتأثير النفسي حيث تؤثر الأزمات على الصحة النفسية للأفراد من خلال زيادة معدلات القلق، الاكتئاب، وما يسمى باضطراب ما بعد الصدمة (PTSD).

وقد أظهرت العديد من الدراسات النفسية أن الأفراد الذين يتعرضون للكوارث الطبيعية يعانون من اضطرابات نفسية طويلة الأمد، حيث يشعرون بفقدان الأمان والاستقرار (بونانو وآخرون، 2010). وعلى سبيل المثال، تُعد كارثة الفيضانات التي شهدتها مدينة درنة في ليبيا عام 2023 واحدة من أكثر الأزمات الطبيعية تدميرًا في المنطقة. فقد أدت العاصفة "دانيال" إلى انهيار السدود الرئيسية، مما تسبب في تدفق كميات هائلة من المياه التي اجتاحت المدينة وأدت إلى خسائر بشرية ومادية غير مسبوقة. فبالإضافة إلى تأثيرها الاجتماعي حيث أدت الفيضانات إلى تدمير أحياء سكنية بالكامل، وفقدان آلاف الأشخاص، مما أحدث أزمة إنسانية غير مسبوقة، فقد عانى سكان درنة من صدمة نفسية شديدة امتدت تداعياتها حتى الوقت الحاضر بسبب فقدان

أحبائهم ومنازلهم. وفقًا لمنظمة الصحة العالمية (2023)، هناك حاجة ماسة لدعم الصحة النفسية للمتضررين، حيث يعاني العديد من الناجين من اضطرابات القلق والاكتئاب نتيجة للكارثة. ولكن بالمقابل قد ساهمت هذه الكارثة في تعزيز الشعور بالتضامن بين الليبيين، حيث ظهرت مبادرات مجتمعية غير مسبوقة في ليبيا لدعم المتضررين، إلا أنها كشفت أيضًا عن ضعف البنية التحتية وإدارة الأزمات في ليبيا.

أما من ناحية التأثيرات الاقتصادية فقد تكبدت ليبيا خسائر اقتصادية كبيرة بسبب انهيار المباني، وانقطاع الخدمات الأساسية مثل الكهرباء والمياه، وتعطل شبكات النقل والاتصالات. وفقًا لتقديرات أولية للأمم المتحدة (2023)، فإن تكلفة إعادة الإعمار في درنة قد تصل إلى مليارات الدولارات، مما يشكل عبئًا اقتصاديًا ضخمًا على الدولة.

وبشكل عام، تؤكد العديد من الدراسات حول الكوارث أو الأزمات، سواء هذه الأزمات كانت طبيعية أو اقتصادية أو اجتماعية، على أهمية ليس فقط تعزيز استراتيجيات إدارة الأزمات وتطوير البنية التحتية لحماية المجتمعات من التأثيرات السلبية لهذه الأزمات من قبل الدولة، وإنما أيضاً على أهمية تعزيز القيم الاجتماعية مثل التضامن والتعاون، لضمان قدرة المجتمع على الصمود والتعافي من الكوارث المستقبلية، وبالتالي مساعدة الدولة في إدارة الأزمة مثل ما حدث مع كارثة درنة.

3. القيم الاجتماعية كدور في تخفيف آثار الأزمات

خلال الأزمات تتعرض المجتمعات لتحديات معقدة تتطلب استجابات جماعية قائمة على التضامن والتعاون والتكافل. ولذلك، فإن تعزيز القيم الاجتماعية مثل الثقة المتبادلة، المسؤولية الجماعية، والتعاون يُعدّ عنصرًا أساسيًا في تمكين المجتمعات من التكيف مع الأزمات والتعافي منها بشكل أكثر فعالية) بوتنام، 2000). حيث تلعب القيم الاجتماعية دورًا محوريًا في بناء المجتمعات وتعزيز قدرتها على مواجهة الأزمات بمختلف أنواعها،

سواء كانت طبيعية، اقتصادية، أو اجتماعية. ويبرز دور أو فعالية القيم الاجتماعية في تخفيف آثار الأزمات عند وقوع الأزمات، حيث تتزايد الحاجة إلى قيم مثل التكافل الاجتماعي، التعاضد، والعمل الجماعي. وتساهم مثل هذه القيم في تقوية الروابط الاجتماعية بين الأفراد والشعور بالأمان، مما يؤدي إلى تحسين قدرة المجتمع على الاستجابة للأزمات بطريقة أكثر تنظيماً وفعالية. على سبيل المثال، خلال الأزمات الصحية مثل جائحة كورونا، برزت أهمية التضامن المجتمعي من خلال مبادرات دعم الفئات الأكثر ضعفًا، وتقديم المساعدات الإنسانية للأسر المحتاجة (فوكوياما، 1995). عند الحديث عن القيم الاجتماعية، يبرز ارتباطها الوثيق بمفهوم رأس المال الاجتماعي، الذي يؤدي دورًا محوريًا في تمكين المجتمعات من تجاوز الأزمات. ومن هنا يطرح التساؤل: إلى أي مدى يسهم رأس المال الاجتماعي في تعزيز القيم الاجتماعية، مثل التكافل الاجتماعي، التعاضد، والعمل الجماعي؟ وكيف يساهم في تحقيق أهداف مجتمعية ذات أبعاد استراتيجية تدعم استقرار المجتمعات وتعزز قدرتها على التكيف مع التحديات المختلفة؟

4. رأس المال الاجتماعي كآلية لتعزيز القيم الاجتماعية

أشار بورديو (1986) بأن مفهوم القيم الاجتماعية يرتبط بشكل وثيق بمفهوم رأس المال الاجتماعي، والذي يشير إلى الشبكات والعلاقات الاجتماعية التي تساعد الأفراد والمجتمعات على التعاون لتحقيق أهداف مشتركة (بورديو، 1986). ويمكننا من خلال السياق استنتاج بعض الأهداف التي بالإمكان تحقيقها خلال الأزمات حيث يعد رأس المال الاجتماعي أحد العوامل الأساسية التي تسهم في استقرار المجتمع أثناء الأزمات، ويمكنه تعزيز الثقة بين الأفراد والمؤسسات، مما يسهل تنسيق الجهود لمواجهة الأزمات. وتقليل النزاعات الاجتماعية من خلال توفير قنوات تواصل فعالة. وتحسين الاستجابة للأزمات عبر الشبكات الاجتماعية التي تسهل تبادل المعلومات والموارد.

وتشير الدراسات إلى أن المجتمعات ذات رأس مال اجتماعي قوي تكون أكثر قدرة على مواجهة الأزمات، حيث يعتمد الأفراد فيها على دعم الشبكات الاجتماعية القائمة، مما يقلل من المخاطر الاجتماعية والاقتصادية (كولمان، 1990). فمثلا، وبالعودة إلى كارثة درنة في ليبيا (2023)، لعب رأس المال الاجتماعي دورًا محوريًا

في تنظيم جهود الإغاثة من خلال المبادرات المجتمعية والتعاون بين الأفراد والمؤسسات غير الحكومية، مما ساهم في تقديم المساعدة للمتضررين بشكل أكثر كفاءة. الجدير بالذكر أن الدول والحكومات قادرة على الاستثمار في رأس مالها الاجتماعي لتعزيز القيم الاجتماعية، والاستفادة منه في مواجهة الأزمات. ويمكن تحقيق ذلك من خلال تبني مجموعة من الاستراتيجيات، من بينها: تعزيز المشاركة المجتمعية من حيث تشجيع الأفراد على الانخراط في الجمعيات التطوعية والمؤسسات الأهلية، وتعزيز الشفافية والثقة بين المواطنين والحكومات لضمان استجابة فعالة للأزمات، يليها تنمية مهارات التعاون والتواصل عبر التعليم وبرامج التنمية الاجتماعية والتنمية البشرية.

الحقيقة، إن تعزيز القيم الاجتماعية، بدعم من رأس المال الاجتماعي، يُعدّ أمرًا حيويًا في بناء مجتمعات قوية قادرة على مواجهة الأزمات بكفاءة. فالمجتمعات التي تمتلك مستويات عالية من الثقة والتعاون تكون أكثر قدرة على التكيف والتعافي من الأزمات، مما يساهم في استقرارها على المدى الطويل. وبالتالي، يصبح من الضروري تبني سياسات تعزز رأس المال الاجتماعي، وبالتالي، تدعم القيم الاجتماعية لضمان استدامة الاستقرار المجتمعي في مواجهة التحديات المستقبلية.

تُعدّ القيم الاجتماعية من العناصر الأساسية التي تعزز رأس المال الاجتماعي، خاصة أثناء الأزمات التي يمر بها المجتمع. فخلال الأزمات الاقتصادية أو الصحية أو السياسية، تبرز الحاجة إلى قيم مثل التضامن، التعاون، المسؤولية الاجتماعية، والتكافل. وتساهم هذه القيم في تقوية الروابط الاجتماعية، مما يساعد المجتمعات على تجاوز الأزمات بطريقة أكثر فاعلية. فعلى سبيل المثال، عند حدوث أزمات كبرى مثل الكوارث الطبيعية أو الأوبئة، يكون مستوى رأس المال الاجتماعي في المجتمع عاملاً حاسمًا في تحديد مدى قدرته على الصمود والتعافي. فالمجتمعات التي تتمتع بمستويات عالية من الثقة والتعاون تكون أكثر قدرة على تنظيم استجابات جماعية لمواجهة التحديات، مقارنة بالمجتمعات التي تفتقر إلى هذه الروابط. ومن هنا يبرز دور القيم الاجتماعية في تعزيز التماسك المجتمعي. وتتجلى أهمية القيم الاجتماعية في الأزمات من خلال تعزيز

روح التضامن حيث يلعب التعاون بين الأفراد والجماعات دورًا أساسيًا في تقديم الدعم والمساعدة خلال الأزمات. وتقوية الثقة بين أفراد المجتمع مما يسهم في تقليل النزاعات وتعزيز الاستقرار الاجتماعي. وتوجيه السلوك الاجتماعي نحو العمل الجماعي حيث تصبح القيم المشتركة محفزًا رئيسيًا لتقديم الدعم والمشاركة الفعالة في مواجهة الأزمات.

في المجمل، يمكن القول إن العلاقة بين رأس المال الاجتماعي والقيم الاجتماعية علاقة تكاملية، حيث يعزز كل منهما الآخر، خاصة خلال فترات الأزمات. فكلما ازدادت القيم الاجتماعية الداعمة للتعاون والتضامن، زادت قدرة رأس المال الاجتماعي على تحقيق دوره في تمكين الأفراد والمجتمعات من تجاوز الأزمات بفعالية. ومن هنا، فإن تعزيز هذه القيم ليس مجرد مسألة أخلاقية، بل هو استثمار في استقرار المجتمعات وتماسكها على المدى الطويل.

الحقيقة، إن العلاقة بين الأزمات والقيم الاجتماعية هي علاقة ديناميكية تتأثر بعوامل متعددة، منها طبيعة الأزمة ومدى قوة رأس المال الاجتماعي في المجتمع. وتشير النتائج إلى أن تعزيز القيم الاجتماعية عبر الاستثمار في رأس المال الاجتماعي هو مفتاح أساسي لتعزيز قدرة المجتمعات على الصمود والتعافي من الأزمات، مما يؤكد ضرورة تبني سياسات تدعم هذا التوجه لضمان استقرار المجتمعات في مواجهة التحديات المختلفة. ومن خلال النقاش نرى أنه سواء كانت الأزمات طبيعية أو اقتصادية أو اجتماعية فهي تؤثر بشكل كبير على القيم الاجتماعية داخل المجتمعات. فقد تسهم بعض الأزمات في تعزيز قيم التضامن والتعاون، بينما قد تؤدي أزمات أخرى إلى تراجع هذه القيم بسبب تفاقم التوترات والصراعات الاجتماعية. من ناحية إيجابية، وفي كثير من الأحيان، تؤدي الأزمات إلى تنشيط القيم الاجتماعية الإيجابية مثل التكافل والتضامن الاجتماعي، حيث يسعى الأفراد والجماعات إلى تقديم المساعدة لبعضهم البعض لمواجهة الصعوبات. فعلى سبيل المثال، خلال جائحة كورونا، شهدت العديد من المجتمعات ارتفاعًا في معدلات العمل التطوعي والمبادرات المجتمعية التي هدفت إلى تقديم الدعم للفئات الأكثر تضررًا (العزاوي، 2020). أما من ناحية سلبية، يمكن

أن تؤدي الأزمات، خاصة عندما تكون طويلة الأمد أو ذات تأثير واسع النطاق، إلى تآكل القيم الاجتماعية وزيادة النزاعات، كما يحدث في الأزمات الاقتصادية التي قد تؤدي إلى زيادة معدلات البطالة والفقر، مما يضعف من روابط الثقة داخل المجتمع (بوتنام، 2000).

كما أن بعض الأزمات قد تسهم في تعزيز النزعة الفردية والانغلاق الاجتماعي بسبب الخوف وعدم الاستقرار. ولضمان الإجابة على السؤال الرئيسي لهذه الورقة وهو كيف يمكن تعزيز القيم الاجتماعية لمواجهة الأزمات؟ ولضمان قدرة المجتمعات على تجاوز الأزمات بفعالية، من الضروري تعزيز القيم الاجتماعية الإيجابية من خلال آليات واستراتيجيات متعددة، تشمل:

1- تعزيز رأس المال الاجتماعي:

حيث يعد رأس المال الاجتماعي عاملًا أساسيًا في دعم المجتمعات خلال الأزمات، وتساعد الثقة المتبادلة، والشبكات الاجتماعية القوية، والتعاون المجتمعي في تسريع عمليات الاستجابة والتعافي. ويؤكد فوكوياما (1995) أن المجتمعات التي تمتلك رأس مال اجتماعي قوي تكون أكثر قدرة على التكيف مع الأزمات مقارنة بالمجتمعات التي تعاني من ضعف في الروابط الاجتماعية.

2- تفعيل دور المؤسسات الحكومية والمجتمع المدني:

حيث يمكن للحكومات والمؤسسات المجتمعية تعزيز القيم الاجتماعية من خلال برامج وسياسات تدعم العمل الجماعي والتطوعي، وتضمن العدالة الاجتماعية في توزيع الموارد، مما يعزز من روح التضامن داخل المجتمع (بورديو، 1986).

3- تفعيل دور الإعلام والتوعية:

حيث يلعب الإعلام دورًا حاسمًا في نشر الوعي وتعزيز القيم الاجتماعية الإيجابية خلال الأزمات. فعندما تسلط وسائل الإعلام الضوء على قصص النجاح في التعاون والتكافل الاجتماعي، فإنها تسهم في نشر هذه

القيم وتعزيزها بين الأفراد. وفيما يلي بعض الأمثلة الواقعية عن بعض الأزمات وتقييم مدي تعزيز القيم الاجتماعية من خلالها:

1. **الأزمة الطبيعية في درنة، ليبيا (2023):** تُعد الفيضانات التي ضربت مدينة درنة في ليبيا مثالًا جيدًا على تأثير الأزمات على القيم الاجتماعية، حيث أظهرت هذه الأزمة مستويات عالية من التضامن والتكافل بين المواطنين. فقد ساهمت شبكات المجتمع المحلي والمتطوعون في تقديم الإغاثة والمساعدات للأسر المتضررة، مما يعكس أهمية رأس المال الاجتماعي في الاستجابة للكوارث الطبيعية. ومع ذلك، فقد كشفت الأزمة أيضًا عن تحديات متعلقة بضعف البنية التحتية والاستجابة الحكومية، مما يبرز الحاجة إلى استراتيجيات مستدامة لتعزيز القيم الاجتماعية قبل وقوع الأزمات.

2. **جائحة كورونا (2020):** فقد أظهرت الجائحة كيف يمكن للأزمات الصحية أن تؤثر على القيم الاجتماعية بطرق متباينة. فعلى الرغم من انتشار بعض السلوكيات الفردية مثل الخوف من العدوى والعزلة الاجتماعية، إلا أن العديد من المجتمعات شهدت ارتفاعًا في مبادرات الدعم الاجتماعي، مثل توزيع المساعدات الغذائية والرعاية الصحية التطوعية (الجمل، 2019).

3. **الأزمة الاقتصادية العالمية (2008):** حيث كشفت هذه الأزمة عن أهمية رأس المال الاجتماعي في التخفيف من آثار الأزمات المالية. ففي المجتمعات التي تتمتع بثقة مؤسسية وشبكات دعم قوية، تمكنت الأسر من التكيف بشكل أفضل مع تداعيات الأزمة، مقارنة بالمجتمعات التي تعاني من ضعف في الترابط الاجتماعي (كولمان، 1990).

توضح هذه المناقشة أن الأزمات تؤثر بشكل مباشر على القيم الاجتماعية، حيث يمكن أن تسهم في تعزيز التضامن الاجتماعي أو تؤدي إلى تفكك الروابط الاجتماعية، وذلك بحسب طبيعة الأزمة ومدى جاهزية

المجتمعات لمواجهتها. كما تؤكد أهمية رأس المال الاجتماعي في دعم المجتمعات خلال الأزمات، مما يستدعي ضرورة تعزيز القيم الاجتماعية من خلال سياسات وبرامج تدعم العمل الجماعي والتعاون المجتمعي.

الخلاصة:

وفي الخلاصة، توصلت هذه الورقة إلى مجموعة من النتائج المهمة التي توضح العلاقة بين الأزمات وتعزيز القيم الاجتماعية، ودور رأس المال الاجتماعي في دعم استقرار المجتمعات أثناء الأزمات. وجاء أبرزها أن الأزمات يمكن أن تعزز القيم الاجتماعية الإيجابية مثل التكافل الاجتماعي، التعاضد، والعمل الجماعي، خاصة في المجتمعات التي تمتلك رأس مال اجتماعي قوي. وفي المقابل، قد تؤدي بعض الأزمات إلى تفكك النسيج الاجتماعي، وزيادة النزاعات، وضعف الثقة بين الأفراد، لا سيما في المجتمعات التي تفتقر إلى شبكات دعم اجتماعية متينة. كما تبين أن رأس المال الاجتماعي يعُد عاملًا أساسيًا في قدرة المجتمعات على تجاوز الأزمات، حيث يساعد في تقوية العلاقات الاجتماعية، وتعزيز الثقة والتعاون بين الأفراد والمؤسسات. وأن المجتمعات التي تمتلك مستويات عالية من التماسك الاجتماعي تكون أكثر قدرة على الاستجابة للأزمات والتعافي منها بسرعة وكفاءة. وأنه يمكن تعزيز القيم الاجتماعية من خلال السياسات الحكومية التي تدعم العمل الجماعي، والبرامج المجتمعية التي تشجع على التطوع والمبادرات الخيرية. ويلعب الإعلام دورًا رئيسيًا في نشر ثقافة التضامن والتعاون، مما يعزز رأس المال الاجتماعي في أوقات الأزمات. بالإضافة إلى أن التعليم والتوعية بأهمية التكافل الاجتماعي يمكن أن يسهمان في بناء مجتمعات أكثر قدرة على التكيف مع التحديات المختلفة.

ويمكن تقديم مجموعة من التوصيات التي قد تساعد في تعزيز القيم الاجتماعية ودعم رأس المال الاجتماعي لمواجهة الأزمات بفعالية مثل: تعزيز ثقافة العمل الجماعي والتكافل الاجتماعي، من حيث إطلاق حملات توعية لتعزيز قيم التعاون والتضامن في المجتمع، وتشجيع الأفراد على المشاركة في الأنشطة التطوعية والخيرية. ودعم المبادرات المجتمعية التي تهدف إلى تقديم المساعدة للفئات الأكثر ضعفًا خلال الأزمات. بالإضافة إلى، تطوير سياسات حكومية تدعم رأس المال الاجتماعي، من حيث تبني استراتيجيات حكومية تعزز التفاعل الإيجابي بين الأفراد، مثل إنشاء شبكات دعم اجتماعي للمواطنين، وخاصة في المناطق الأكثر تعرضًا للأزمات، وتعزيز الشراكة بين القطاع العام والخاص والمجتمع المدني لتوفير الموارد والخدمات اللازمة

أثناء الأزمات. وبتأكيد التوصية بتفعيل دور الإعلام في نشر القيم الاجتماعية الإيجابية، من حيث تشجيع وسائل الإعلام على تقديم محتوى يعزز القيم الاجتماعية الإيجابية، مثل قصص النجاح في التكافل الاجتماعي والتعاون خلال الأزمات، ومكافحة الأخبار الزائفة والإشاعات التي قد تؤدي إلى نشر الخوف والتفرقة في المجتمع أثناء الأزمات. كما توصي الورقة بتعزيز وتفعيل دور التعليم في بناء رأس المال الاجتماعي، من حيث إدراج مفاهيم القيم الاجتماعية ورأس المال الاجتماعي في المناهج التعليمية لتعزيز الوعي بأهمية العمل الجماعي والتضامن، وتوفير برامج تدريبية للشباب حول كيفية مواجهة الأزمات بطرق تعزز التعاون المجتمعي والاستقرار الاجتماعي.

تؤكد هذه الورقة على أن تعزيز القيم الاجتماعية، مثل التكافل الاجتماعي والعمل الجماعي، يلعب دورًا حاسمًا في تمكين المجتمعات من تجاوز الأزمات بمرونة وكفاءة. كما أن الاستثمار في رأس المال الاجتماعي يعد استراتيجية فعالة لتحقيق الاستقرار الاجتماعي والتنمية المستدامة. ولذلك، فإن تبني سياسات تدعم هذه القيم يعد ضرورة ملحة لضمان مجتمعات أكثر تماسكًا وقدرة على مواجهة التحديات المستقبلية.

المراجع

- الجمل، محمد. (2019). الآثار الاجتماعية للأزمات الاقتصادية على المجتمعات العربية. مجلة الدراسات الاجتماعية، 25(3)، 45–67.
- العزاوي، سامي. (2020). التضامن الاجتماعي في أوقات الأزمات: دراسة تحليلية للأزمات الصحية. مجلة العلوم الاجتماعية، 14(2)، 112–130.
- بيرنشتاين، جون. (2004). الأزمات النفسية: النظرية والتطبيق. دار الفكر.
- كامل، محمود. (2018). الأزمات: التفسير الاجتماعي والنفسي. مؤسسة الدراسات الاجتماعية.
- دوركهايم، إميل. (1897). الانتحار: دراسة في علم الاجتماع.
- تقرير البنك الدولي (2021). تقرير التنمية العالمية حول الأزمات الاقتصادية.
- تقرير الأمم المتحدة (2023). تقرير تقييم الأضرار في درنة.
- تقرير منظمة الصحة العالمية (2023). تقرير الصحة النفسية بعد كارثة درنة.

- Bonanno, G. A., Brewin, C. R., Kaniasty, K., & La Greca, A. M. (2010). *Weighing the costs of disaster: Consequences, risks, and resilience in individuals, families, and communities.* Psychological Science in the Public Interest, *11*(1), 1–49.
- Bourdieu, P. (1986). *The forms of capital.* In J. Richardson (Ed.), *Handbook of theory and research for the sociology of education.* Greenwood.
- Coleman, J. S. (1990). *Foundations of social theory.* Harvard University Press.
- Durkheim, É. (1912). *The elementary forms of religious life.* Free Press.
- Fukuyama, F. (1995). *Trust: The social virtues and the creation of prosperity.* Free Press.
- Inglehart, R., & Baker, W. E. (2000). Modernization, cultural change, and the persistence of traditional values. American Sociological Review, 65 (1)19-51.

- Kluckhohn, C. (1951). Values and value-orientations in the theory of action. Talcott Parsons & Edward Shils (Eds.), Toward a general theory of action. Harvard University Press.
- Parsons, T. (1951). The Social System. Free Press
- Putnam, R. D. (2000). Bowling alone: The collapse and revival of American community. Simon & Schuster.
- Rokeach, M. (1973). The Nature of Human Values. Free Press.
- Schwartz, S. H. (1992). Universals in the content and structure of values: Theoretical advances and empirical tests in 20 countries. Advances in Experimental Social Psychology, 25, 1-65.
- Smith, A. (1994) The Wealth of Nations, London: The Modern Library.
- Sztompka, P. (1993). *The sociology of social change*, Blackwel.